

الفصل العاشر

ماذا قدمت المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية من مزايا؟ (تقويم الواقع وآفاق المستقبل)

- (1-10) - تمهيد.
- (2-10) - معايير تقويم ما قدمته المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية من مزايا.
- (3-10) - ميزة تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات المصرفية.
- (4-10) - ميزة تطبيق ميثاق الأخلاق الإسلامية في المعاملات المصرفية.
- (5-10) - ميزة نشر الوعي والحس المصرفي الإسلامي في مجال المال والمعاملات.
- (6-10) - ميزة نشر ثقافة المصرفية الإسلامية بين الناس جميعاً.
- (7-10) - ميزة جذب مدخرات قطاع كبير من المسلمين واستثمارها لمصلحة المسلمين.
- (8-10) - ميزة تقديم منتجات مصرفية جديدة في مجال الاستثمار والتمويل.
- (9-10) - ميزة المعاصرة في أداء الخدمات المصرفية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية.
- (10-10) - ميزة النمو والتطوير والانتشار السريع للمصارف الإسلامية على المستوى العالمي.
- (11-10) - ميزة عالمية المصارف الإسلامية في ظل التحديات والمعوقات.
- (12-10) - ميزة تميز البعد الاجتماعي والبيئي للمصارف الإسلامية.
- (13-10) - الخلاصة.

الفصل العاشر

ماذا قدمت المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية من مزايا؟ (تقويم الواقع وآفاق المستقبل)

(1-10) - تمهيد.

يتساءل كثير من الناس: ماذا قدمت المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية؟ وما هي المزايا التي قدمتها بصفة خاصة للدول التي أخذت بها؟ وهل وُفِّت تلك المصارف بما عاهدت به المسلمين وبما ورد بعقود إنشائها من غايات ومقاصد؟.

هذه التساؤلات وغيرها هي مناط الدراسة في هذا الفصل، حيث نتناول فيه ما قدمته المصارف الإسلامية من مزايا في ضوء الواقع، ثم نقارنه بالمستهدف الذي كان منشوداً، وبيان أوجه القصور وأسبابها، وتقديم التوصيات اللازمة للتطوير إلى الأفضل، ولقد اعتمدنا في استقراء الواقع على البيانات والمعلومات المنشورة بطرق النشر والإعلام المختلفة عن المصارف الإسلامية، وعلى توصيات المؤتمرات والندوات العالمية وعلى الدراسة الميدانية لبعض المصارف الإسلامية، وكذلك على خبرتنا المتراكمة من خلال مواقع عملنا في حقل المصرفية الإسلامية منذ نشأتها وحتى وقتنا هذا.

(10-2) - معايير تقويم ما قدمته المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية من مزايا.

حتى يكون التقويم موضوعياً وبعيداً عن العواطف والحماس، فقد حددنا مجموعة من المعايير تكون أساساً لعملية تقويم المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية، ومن أهمها ما يلي:

- معيار مدى الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- معيار حسن التعامل مع العملاء وغيرهم بالخلق الفاضلة.
- معايير نشر الوعي والحس المصرفي الإسلامي.
- معيار انتشار ثقافة المصرفية الإسلامية.
- معيار جودة القدرة على جذب المدخرات والتمويل على أصحاب الحسابات الاستثمارية.
- معيار الإبداع والابتكار في المنتجات المصرفية الإسلامية في مجال الاستثمار والتمويل.
- معايير جودة الخدمات المصرفية في ضوء التحديات المعاصرة.
- معيار النمو والتطوير والانتشار محلياً وعالمياً.
- معيار عالمية المصارف الإسلامية في ظل التحديات والمعوقات.
- معيار الأداء الاجتماعي والبيئي للمصرفية الإسلامية.

(10-3) - ميزة تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات المصرفية.

يُجمع فقهاء وعلماء وخبراء المصرفية الإسلامية، وكذلك المسلمون بصفة عامة أن أهم شيء تقدمه المصارف الإسلامية في البلاد التي أخذت بها هو الالتزام الصادق بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، ولتحقيق هذه الغاية تم إنجاز أمور كثيرة من أهمها ما يلي:

• اهتمام مجامع ومراكز ومؤسسات الفقه الإسلامي بإصدار الفتاوى والقرارات والتوصيات في المصرفية الإسلامية.

• عقد العديد من الندوات والمؤتمرات وما في حكم ذلك لمناقشة قضايا فقه المصرفية الإسلامية وإصدار القرارات والتوصيات بشأنها.

• إنشاء هيئات الرقابة الشرعية في بعض المصارف الإسلامية.

• إنشاء وظيفة المراقب الشرعي في بعض المصارف الإسلامية.

• إعداد الدليل الشرعي للمصرفية الإسلامية في بعض المصارف الإسلامية.

• إنشاء اللجنة الشرعية بهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.

• إنشاء لجنة الرقابة الشاملة (وتتضمن الرقابة الشرعية) التابعة لمجلس الإدارة.

وبالرغم من هذه الإنجازات إلا أنه مازال هناك بعض أوجه القصور من بينها ما يلي:

أولاً: اكتفاء بعض المصارف الإسلامية بمستشار شرعي يتم اللجوء إليه عند الحاجة للاستفسار عن الحكم الشرعي لمعاملة ما، وبذلك لا توجد رقابة شرعية فعلية في الواقع العملي.

ثانياً: اكتفاء بعض المصارف بهيئة رقابة شرعية مكونة من شخص واحد، ولا يوجد مراقب شرعي يتولى التدقيق الشرعي المستمر.

ثالثاً: لا يوجد دليل شرعي متكامل عند بعض المصارف الإسلامية، والموجود لا يعدو إلا مجموعة فتاوى متفرقة.

رابعاً: لا توجد جهة عليا للإشراف على هيئات الرقابة الشرعية بالمصارف الإسلامية والتنسيق بينها.

وبالرغم من هذه الملاحظات إلا أن هناك عملاً بارزاً متميزاً، هو وجود هيئات رقابة شرعية في معظم المصارف الإسلامية تعمل وفق دليل شرعي للمصرفية الإسلامية، وهناك تطوير مستمر لعملها إلى الأفضل.

(10-4) - ميزة تطبيق ميثاق الأخلاق الإسلامية في المعاملات المصرفية.

هناك صحة عالمية في مجال المال والأعمال بصفة عامة وفي الجهات التي تقدم خدمات للجماهير بصفة خاصة بضرورة التزام العاملين بالمثل والأخلاق الفاضلة، ولقد تبلور ذلك في المفهوم التالي: **Good Ethics Good Business**.

ولقد سبقهم الإسلام في ذلك عندما أكد رسول الله ﷺ على أن "الدين المعاملة"، واعتبر الالتزام بالأخلاق الحسنة عبادة وطاعة ودعوة إلى الإسلام، ولقد اهتم فقهاء وعلماء وخبراء المصرفية الإسلامية بقضية المثل والأخلاق وحسن التعامل مع الغير.

ومن أهم الإنجازات في هذا الصدد ما يلي:

- وضع ضوابط عقدية وأخلاقية عند انتقاء العاملين بالمصارف الإسلامية.
- عقد دورات تدريبية تتضمن موضوعات القيم والأخلاق والسلوكيات الحميدة للعاملين بالمصارف الإسلامية.
- تصميم نماذج تقييم أداء العاملين الدورية وفق مؤشرات تشير إلى مدى الالتزام بالقيم والأخلاق والسلوكيات الحميدة.
- الاهتمام بالتربية الروحية والأخلاقية والسلوكية للعاملين بوسائل شتى منها المحاضرات والخطوات الإيمانية.
- تفعيل نظم الرقابة الداخلية الشاملة على سلوكيات العاملين بالمصارف الإسلامية.
- إصدار معايير أخلاقية للعاملين بالمصرفية الإسلامية والصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية ومقرها البحرين.

هناك مجموعة من السلبيات يتطلب الأمر التعجيل في علاجها منها:

أولاً: الضغوط المختلفة لتعيين بعض الموظفين غير الملتزمين بالقيم والخلق في بعض المصارف الإسلامية.

ثانياً: الفهم الخاطئ لدى بعض العاملين بالمصارف الإسلامية؛ إذ يعتقدون أن المهم أداء الوظيفة وليس خلق وسلوك الموظف.

ثالثاً: تعيين بعض النساء في مواضع لا تتناسب مع طبيعتهن في بعض المصارف الإسلامية.

رابعاً: مازال تفكير بعض العاملين بالمصارف الإسلامية متأثراً بالفكر الربوي التقليدي.

وبالرغم من هذه السلبيات إلا أن سلوك معظم العاملين بالمصارف الإسلامية أفضل من غيرهم، وأن وضع معايير أخلاقية يعتبر من المزايا البارزة والتي يؤمل الالتزام بها من قبل كل العاملين.

(10-5) - ميزة نشر الوعي والحس المصرفي الإسلامي في مجال المال والمعاملات.

يعتبر فهم المصرفية الإسلامية من موجبات نجاحها وصمودها ضد التحديات من البنوك التقليدية ومن العلمانيين الذين يعمدون إلى الافتراء عليها وتشويه صورتها، لذلك تمكن دعاة الإسلام بصفة عامة وفقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية من وضع خطط وبرامج لنشر الوعي المصرفي الإسلامي لدى الناس جميعاً، والرد على الافتراءات والشبهات التي تثار حولها بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدال المنضبط بأدب الحوار في الإسلام.

ومن المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية في هذا المجال ما يلي:

- إصدار الكتيبات للتعريف بالمصرفية الإسلامية.
- تنظيم محاضرات في بعض الأماكن المختارة عن المصرفية الإسلامية.
- إعداد وسائل إعلامية معاصرة عن المصرفية الإسلامية.
- التعاون مع وسائل الإعلام المختلفة في نشر معلومات عن مفاهيم وأسس وضوابط المصرفية الإسلامية.

وبالرغم من هذه الجهود إلا أن هناك سلبيات نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: عدم اكتراث بعض أعضاء الإدارة العليا بالالتزام بالضوابط الشرعية وتركيزهم على الربحية العالية.

ثانياً: عدم توافر الدليل الشرعي للمعاملات المصرفية لدى بعض الإدارات بالمصرف الإسلامي.

ثالثاً: عدم وجود خطة إستراتيجية للإعلام المصرفي الإسلامي.

رابعاً: عدم تزويد الوعاظ والفقهاء بالفقه المصرفي الإسلامي ورسالة المصارف الإسلامية.

وخلاصة التقويم: أن هناك صحوة عالمية في بعض وسائل الإعلام الإسلامي وغير الإسلامي عن المصرفية الإسلامية بين الفكر والتطبيق، والواجب أن تُرشد وتتطور إلى الأحسن ويكون لها إستراتيجية رشيدة.

(10-6) - نشر ثقافة المصرفية الإسلامية بين الناس جميعاً.

منذ أقل من نصف قرن تقريباً كانت المعارف والثقافة في مجال الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية قليلة جداً سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع أو على مستوى المؤسسات الدينية، وكان المعروف هو النظم الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية والخلط بينهما، وكان السائد هو البنوك الأجنبية ثم الوطنية القائمة على نظام الفائدة.

وفي الأربعينيات (1940م وما بعدها) - كما سبق الإيضاح من قبل - بدأ فقهاء وعلماء وأساتذة الفقه والقانون والاقتصاد يفكرون ويضعون الخطوط الرئيسية للاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية، ونما هذا الفكر وأخذ مجال التطبيق حتى أصبح واقعاً عملياً وثقافة عامة، ومن معالم ذلك ما يلي:

- اهتمام الجامعات العربية والإسلامية بالدراسات والبحوث في مجال الاقتصاد والمصارف الإسلامية، وأخذ ذلك صيغاً عدة منها:
 - ♦ تزايد عدد رسائل الماجستير والدكتوراه في مجال الاقتصاد والمصارف الإسلامية.
 - ♦ تدريس مواد الاقتصاد الإسلامي وفروعه المختلفة في الجامعات العربية والإسلامية.
- اهتمام الجامعات غير العربية وغير الإسلامية بتدريس علوم الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية.
- إنشاء معاهد للاقتصاد والمصارف الإسلامية، مثل:
 - ♦ المركز العالمي للاقتصاد الإسلامي بجدة.
 - ♦ مركز أبحاث الدراسات التجارية الإسلامية بجامعة الأزهر.
 - ♦ مركز الاقتصاد الإسلامي بباكستان.
 - ♦ المجلس الأعلى للبنوك الإسلامية.
 - ♦ مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر.
 - ♦ الجامعة الأمريكية بالقاهرة.
- تنظيم العديد من الندوات والمؤتمرات الدولية في الاقتصاد والمصارف الإسلامية.
- اهتمام المنظمات الإسلامية العالمية ومجامع الفقه بالاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية، مثل:
 - ♦ منظمة المؤتمر الإسلامي.
 - ♦ رابطة الجامعات الإسلامية.
 - ♦ مجمع الفقه الإسلامي بجدة.
 - ♦ رابطة العالم الإسلامي.
- إصدار مجلات متخصصة في مجال الاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية، مثل:
 - ♦ مجلة الاقتصاد الإسلامي التي يصدرها بنك دبي الإسلامي.

- ◆ مجلة النور التي يصدرها بنك التمويل الكويتي.
- ◆ نشرات المصارف الإسلامية التي تصدرها المصارف الإسلامية.
- ◆ مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي التي يصدرها المركز العالمي للاقتصاد الإسلامي.
- ◆ مجلة الدراسات التجارية الإسلامية التي يصدرها مركز أبحاث الدراسات التجارية الإسلامية.
- ◆ مجلة الوعي الإسلامي - الكويت.
- ◆ مجلة منار الإسلام - دبي.
- ◆ مجلة الهداية - البحرين.
- ◆ مجلة البلاغ - الكويت.
- ◆ مجلة الأمة - قطر.
- ◆ مجلة المسلم المعاصر - الكويت.
- إنشاء أقسام متخصصة للاقتصاد الإسلامي في بعض الجامعات مثل:
 - ◆ قسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.
 - ◆ قسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى.
 - ◆ قسم الاقتصاد الإسلامي بالجامعة الإسلامية بباكستان.
 - ◆ دبلوم الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر.
 - ◆ قسم الاقتصاد الإسلامي بالجامعة الأمريكية المفتوحة بالقاهرة.
- اهتمام الجامعات غير العربية والإسلامية بالاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية مثل:
 - ◆ جامعة كنت وبرمنجهام وغيرها في بريطانيا.
 - ◆ جامعة بانسلفانيا بأمريكا.
 - ◆ الجامعة الأمريكية المفتوحة للدراسات الإسلامية - قسم الاقتصاد الإسلامي.
- اهتمام العديد من العلماء والأساتذة غير المسلمين بالاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية. وبالرغم من الإنجاز السابق إلا أنه مازال هناك بعض السلبيات منها على سبيل المثال:
 - أولاً: ضعف الاهتمام بالنماذج التطبيقية العملية للمصارف الإسلامية.
 - ثانياً: عدم وجود قاعدة معلومات متكاملة عن المصرفية الإسلامية.

ثالثاً: تكرار الجهود العلمية وعدم وجود تنسيق وتكامل بينها.

رابعاً: وضع قيود من بعض الحكومات على إنشاء كليات متخصصة في الاقتصاد الإسلامي.

وخلاصة التقويم: تعتبر نهضة المعرفة والثقافة في الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي على النحو السابق ميزة للدول الإسلامية وغير الإسلامية التي أخذت بها، وهي إثراء المعرفة والثقافة التقليدية بالإسلامية وفتح آفاق جديدة لتزواج أساليب المعرفة في ظل العولمة، وما زال هناك آفاق للتشديد والتطوير إلى الأحسن.

(10-7) - ميزة جذب مدخرات قطاع كبير من المسلمين واستثمارها لمصلحة المسلمين.

لقد كان للإعلام عن إنشاء مصارف إسلامية تلتزم بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية الدور الرئيسي لجذب قطاع كبير من المسلمين للتعامل مع تلك المصارف، وكان الباعث والحافز والدافع هو عاطفة الإسلام، ولقد استطاع القائلون على أمر المصرفية الإسلامية تقديم عدة صيغ لاستثمار أموال المسلمين كبديل لصيغة الودائع بفائدة التي تقدمها البنوك التقليدية.

ومن أهم الإنجازات في هذا المقام ما يلي:

- صيغة عقد المضاربة بين صاحب المال المراد استثماره والمصرف الإسلامي.
- صيغة عقد القرض الحسن بين صاحب الحساب الجاري والمصرف الإسلامي.
- تعدد صيغ حساب الاستثمار منها على سبيل المثال:
 - الحساب الاستثماري لأجل مطلق.
 - الحساب الاستثماري لأجل مقيد.
 - حساب التوفير الاستثماري.
 - شهادات الاستثمار المشاركة للربح والخسارة.
 - شهادات الادخار المشاركة في الربح والخسارة.
 - صيغ أخرى.

وبالرغم من هذه الميزة وما تحتويه من تعدد ومرونة للوفاء باحتياجات أصحاب الحسابات الجارية والاستثمارية، إلا أن هناك بعض السلبيات، منها على سبيل المثال ما يلي:

- محدودية انتشار المصارف الإسلامية جغرافياً داخل نفس الدولة، وهذا من المعوقات التي تجعل بعض المسلمين يلجئون إلى التعامل مع البنوك التقليدية.
- شبهات حول تقارب عوائد الحسابات الاستثمارية مع سعر الفائدة في البنوك التقليدية.

- تقارب العوائد الموزعة من فترة لأخرى.
- انخفاض مستوى جودة الخدمات التي تقدم لأصحاب الحسابات الجارية والاستثمارية.
- التأخر في استخدام تكنولوجيا الخدمات المصرفية الحديثة.
- خلاصة التقويم أن هناك صيغاً مختلفة لجذب المدخرات، ولكن هناك صعوبات ومعوقات في التيسير على العملاء تستوجب العلاج.

(10-8) - ميزة تقديم منتجات مصرفية جديدة في مجال الاستثمار والتمويل.

من المزايا التي تتميز بها المصرفية الإسلامية تقديم منتجات مصرفية معاصرة في مجال الاستثمار والتمويل وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، لتساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية في الدول التي تأخذ بها، ولقد استطاع فقهاء وعلماء وخبراء المصرفية الإسلامية في هذا المجال، من ابتكار عدة منتجات مستنبطة من الفقه الإسلامي، منها على سبيل المثال ما يلي:

- المضاربة المطلقة والمقيدة.
- الاستصناع والاستصناع الموازي.
- المشاركة والمشاركة المنتهية بالتملك.
- المشاركة في تمويل رأس المال العامل.
- الإجارة والإجارة المنتهية بالتملك.
- المرابحة لأجل للأمر بالشراء.
- السلم والسلم الموازي.
- صناديق الاستثمار الإسلامية.

ولقد ساهمت هذه الصيغ وغيرها في الوفاء بمتطلبات واحتياجات العديد من مشروعات التنمية في المجالات المختلفة، ولم تكن هذه المنتجات مطبقة قبل الأخذ بالمصرفية الإسلامية، وبذلك تعتبر من المزايا النموذجية في البلاد التي أخذت بها، ولقد تمكن فقهاء وخبراء المصرفية الإسلامية من إنجاز ما يلي:

- تصميم عقود الاستثمار والتمويل والبيع وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- تصميم نماذج وأشكال وصيغ المعاملات المصرفية الإسلامية.
- وضع دليل الإجراءات التنفيذية للعمليات المصرفية الإسلامية.
- ومن أهم المآخذ على بعض المصارف الإسلامية في هذا المجال ما يلي:
- التركيز على صيغة المرابحة لأجل للأمر بالشراء بالرغم من تعدد الصيغ الاستثمارية الأخرى.
- وجود بعض الأخطاء الشرعية في إجراءات تنفيذ صيغ المرابحة.
- اللجوء إلى صيغ تمويل لم يحسم الحكم الشرعي بشأنها وثار حولها شبهات كثيرة مثل التورق المصرفي.

- الإفراط في الحصول على الضمانات والكفالات من العملاء وهذا يسبب تعجيزاً لهم.
- ارتفاع تكلفة التمويل أحياناً بالمقارنة بالعروض البديلة من البنوك التقليدية.
- تأثر بعض العاملين بالمصارف الإسلامية بفكر الائتمان التقليدي عند التعامل مع بعض هذه الصيغ.

وخلاصة التقويم بصفة عامة يمكن التأكيد على واقع ميزة الإبداع والابتكار في تقديم منتجات مصرفية إسلامية في مجال الاستثمار والتمويل وأنه أفضل من نظام الائتمان بفائدة المطبق في المصرفية التقليدية مما حدا ببعض البنوك التقليدية بمحاكاة الإسلامية في هذا المجال بإنشاء فروعاً لها.

(10-9) - ميزة المعاصرة في أداء الخدمات المصرفية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية.

يقصد بجودة الخدمات المصرفية الإسلامية أنه يتوافر فيها مجموعة من المعايير من أهمها:

- الاستجابة لطلبات العملاء من الخدمات والمنتجات المصرفية الإسلامية.
 - تقديم الخدمات بالكيفية وبالمواصفات المطلوبة.
 - تضيق الفجوة بين المستهدف والواقع العملي.
 - الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- ولقد استطاعت بعض المصارف الإسلامية فعلاً مواكبة العصر في تقديم بعض هذه الخدمات، وقدمت ميزة تنافسية؛ وهي الجمع بين جودة الخدمات من ناحية والالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى، كما هو الحال في الخدمات الآتية:

- خدمات بطاقات الائتمان المختلفة.
- خدمات الصرف الآلي.
- خدمات التجارة الالكترونية.
- الخدمات المصرفية من خلال الإنترنت.
- خدمات المعلومات العاجلة من خلال الإنترنت.

وبذلك يعتبر الالتزام بمعايير جودة أداء الخدمات المصرفية مع الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية من المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية في الدول التي أخذت بها، بل إن التميز العظيم هو جهود الفقهاء في ضبط هذه الخدمات بالمعايير الشرعية، وهذا ما تفتقر إليه البنوك التقليدية.

ومن المآخذ التي رصدت في هذا المقام ما يلي:

- البطء في إصدار الفتاوى والمعايير الشرعية لبعض الخدمات المصرفية الإسلامية.

- البطء في تنفيذ بعض الخدمات المصرفية المعاصرة.

- التعجل في تقديم بعض الخدمات المصرفية المعاصرة قبل صدور الفتاوى ووضع المعايير الشرعية لها.

- عدم توافر إمكانيات التقنية لتجويد تقديم بعض الخدمات المصرفية.

وبصفة عامة يمكن القول بأن العديد من المصارف الإسلامية قد حصلت على شهادات جودة أداء الخدمات المصرفية الإسلامية، بل تقويمها من منظور المعايير الفنية والشرعية، وهذا يعتبر ميزة انتفعت بها البلاد التي أخذت بها، ومن المأمول أن تتنافس المصارف الإسلامية في الجودة والمقدامية والريادة.

(10-10) - ميزة النمو والتطوير والانتشار السريع للمصارف الإسلامية على المستوى العالمي.

يؤدي زيادة الطلب على الخدمات والمنتجات التي تقدمها المصارف الإسلامية إلى زيادة فروعها وانتشارها لتغطي أكبر مساحة جغرافية للاستجابة إلى رغبات من يريدون التعامل معها.

والمرصود عملياً في هذا المقام ما يلي:

- تحويل معظم البنوك التقليدية إلى مصارف إسلامية كما هو الحال على سبيل المثال في السودان وباكستان وإيران والشارقة والبحرين.

- النمو المتزايد في عدد المصارف الإسلامية داخل الدولة وبالتالي على مستوى العالم كما هو الحال في البحرين والكويت وقطر والإمارات وماليزيا والأردن.

- النمو المتزايد في تحويل عدد من الفروع التقليدية إلى إسلامية، كما هو الحال في المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات وماليزيا.

- إنشاء مصارف إسلامية في العديد من الدول غير العربية وغير الإسلامية كما هو الحال في بريطانيا والدول المحررة من الاستعمار الروسي.

- اهتمام البنوك المركزية بالمصرفية الإسلامية.

ومن الإحصائيات المنشورة بمعرفة المجلس العالمي للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية أنه يوجد الآن (2009م) حوالي 400 بنك إسلامي في 48 دولة في خمس قارات ويتبعها 27000 فرع، وتقدر حقوق الملكية فيها حوالي 7 مليار دولار أمريكي بالإضافة إلى 300 بنك تقليدي أنشأ فروعاً إسلامية أو منتجات مصرفية إسلامية⁽¹⁾.

(1) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى موقع المجلس العالمي للبنوك الإسلامية على الإنترنت.

ويعتبر النمو والانتشار من معالم المستقبل للمصرفية الإسلامية كما يعتبر ميزة للدول التي أخذت بها حيث تستجيب لمطالب شعوبها وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومسايرة النهضة في هذا المجال .

وبالرغم من وضوح معالم النمو والانتشار للمصارف الإسلامية والقوة التنافسية لها، إلا أنه مازالت هناك بعض الدول تضع العراقيل التي تحد من انتشارها لأسباب واهية، ومن هذه الدول على سبيل المثال: مصر والجزائر وسوريا وفلسطين والمغرب.

وخلاصة الرصد والتقويم: أن هناك نموًا وانتشارًا ملحوظًا في المصرفية الإسلامية، ويمثل ذلك ميزة الريادة والتنافس في الخير للدول التي أخذت بها.

(10-11) - ميزة عالمية المصارف الإسلامية في ظل التحديات والمعوقات.

الإسلام دين عالمي، وشريعته صالحة لكل زمان ومكان، لا يعوقها حدود ولا أنهار ولا جسور، ولقد نجح التجار العرب في صدر الدولة الإسلامية من خلال معاملاتهم التجارية من نشر الإسلام في كثير من دول وأقطار العالم حتى وصل إلى أعماق أوروبا والصين وروسيا وأمريكا وأفريقيا ودول شرق آسيا، وانتشرت الحضارة الإسلامية في الوقت الذي كانت تعيش معظم الدول في ظلمات الجاهلية.

ولقد استطاع رواد المصرفية الإسلامية أن ينقلوا تجربتها خارج حدود الدول العربية والإسلامية، ومن النماذج العملية لذلك ما يلي:

- اهتمام بعض الشخصيات العالمية مثل الأمير تشارلز بالمؤسسات المالية الإسلامية ومشاركة بعض المؤتمرات⁽¹⁾.
- اهتمام القنوات الفضائية العالمية بالاقتصاد الإسلامي وبالمصرفية الإسلامية⁽²⁾.
- إنشاء مركز عالمي للتدريب في مجال التمويل الإسلامي.
- إنشاء مجموعة من البنوك الإسلامية في الدول غير الإسلامية مثل: بنك إنفست جروب، البنك الإسلامي الدولي بالبحرين.
- إصدار صكوك إسلامية دولية⁽³⁾.

(1) دلة البركة، العدد 38 رمضان 1425هـ، ص2.

(2) مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد 284، ذو القعدة 1425هـ/ يناير 2005م.

(3) مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد 278، جمادى الأولى 1425هـ/ يناير 2004م.

وبالرغم من هذا النجاح إلا أنه وضعت العديد من المعوقات تجاه سرعة انتشار تلك التجربة عالميًا، من ذلك على سبيل المثال:

- اتهام المصارف الإسلامية بتمويل الإرهاب.
- الإشاعات حول الاستيلاء على أموال المصارف الإسلامية المدونة لدى البنوك الخارجية كمراسلين.
- اتهام المصارف الإسلامية بأنها قنوات لغسيل الأموال.
- وبالرغم من تلك التحديات استطاعت المصرفية الإسلامية الثبات والانتشار العالمي فكرًا وتطبيقًا، والدليل على ذلك ما يلي:
- قيام بعض البنوك العالمية الكبيرة بإنشاء بنوك إسلامي، ومثال ذلك سيتي بنك الإسلامي.
- قيام بعض البنوك الدولية بإنشاء فروع تتعامل طبقًا للمصرفية الإسلامية، وأمثلة ذلك: البنك السعودي الأمريكي، البنك السعودي الهولندي، البنك السعودي البريطاني، وتيسيس بنك.
- وما زالت التحديات قائمة ومستمرة وتحتاج إلى قوة الجهاد لإزالة من يقفوا في طريق انتشارها.

(10-12) - ميزة تميز البعد الاجتماعي والبيئي للمصارف الإسلامية.

من المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية للدول التي أخذت بها الخدمات الاجتماعية والبيئية من منظور إسلامي، واعتبار ذلك من الواجبات الدينية وفقًا لقاعدة: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

ومن النماذج العملية الواقعية في هذا المقام ما يلي:

- الدور الاجتماعي لصندوق زكاة المال والصدقات وما في حكم ذلك.
- الدور الاجتماعي لصندوق القرض الحسن وما في حكمه.
- تمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر بالصيغ الإسلامية.
- تمويل المشروعات البيئية الأساسية بنظام BOT وعقد الاستصناع.
- المساهمة في تمويل المشروعات الاجتماعية للطبقة الفقيرة بنظام المشاركة المنتهية بالتملك.
- المساهمة في مساعدة الطلاب الوافدين الفقراء.
- المساهمة في مشروعات رعاية البيئة بكافة أشكالها.

وتؤكد النماذج الواقعية السابقة على الميزة الاجتماعية والبيئية التي تقدمها المصارف الإسلامية للمجتمعات التي أخذت بها، ولها صفة الوضوح والتجسد العملي مما يتعذر نكرانه.

ونعتقد أن المصارف الإسلامية لا تستطيع الوفاء بكل متطلبات المسؤولية الاجتماعية والبيئية نظراً لمحدودية الموارد المخصصة لذلك وفقاً لنظمها الداخلية، ولكن يمكن للحكومات أن تمنحها بعض الإعفاءات الضريبية ونحوها لتحفيزها نحو المزيد من الخدمات الاجتماعية والبيئية.

وفي الفقرات التالية نماذج واقعية للأداء الاجتماعي والبيئي لبعض المصارف الإسلامية في مجالات: مشكلة البطالة، ومشكلة عدم القدرة على تكاليف الزواج، ومشكلة مساكن الطبقات الفقيرة.

● إنجازات المصارف الإسلامية في علاج مشكلة البطالة.

ومن الإنجازات البارزة للمصارف الإسلامية في معالجة مشكلة البطالة عن طريق تمويل المشروعات الصغيرة ما يلي⁽¹⁾:

- تأسيس مصارف إسلامية متخصصة في تمويل المشروعات الصغيرة كما هو الحال في دولة باكستان (مؤسسة تمويل المنشآت الصغيرة - 1972م).

- تخصيص إدارات في بعض المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة بالصيغ الاستثمارية كما هو الحال في السودان ومصر والأردن.

وهذه النماذج العملية وغيرها مما تعذر حصره توضح الميزة التي قدمتها بعض المصارف الإسلامية للبلاد التي أخذت بها للمساهمة في علاج مشكلة البطالة، كما تؤكد تميز صيغ التمويل الإسلامية على صيغ التمويل القائمة على القروض بفائدة التي تقود إلى مزيد من البطالة.

● إنجازات المصارف الإسلامية في تيسير الزواج.

ومن الإنجازات البارزة للمصارف الإسلامية في المساهمة العملية في تيسير الزواج ما يلي:

- تقديم القروض الحسنة لعون المقدم على الزواج، وكان لبنك ناصر الاجتماعي وبنك دبي الإسلامي على سبيل المثال الريادة في هذا المقام.

- تمويل شراء الوحدات السكنية البسيطة الشعبية بنظام الإجارة المنتهية بالتملك، وتأجيرها للشباب بقيمة إيجارية مناسبة.

(1) مركز صالح عبد الله كامل، ندوة أساليب التمويل الإسلامية للمشروعات الصغيرة، فبراير 2004م.

- إنشاء مساكن شعبية تناسب الشباب الفقير المقدم على الزواج وبيعها لهم بنظام المrabحة أو التولية، ومن النماذج العملية لذلك ما قام به بنك فيصل الإسلامي المصري وبنك دبي الإسلامي.
- تمويل تأثيث بعض احتياجات السكن وكذلك تمويل شراء الأجهزة الكهربائية اللازمة للبيت التي تقع على قمة سلم الضروريات والحاجيات بنظام المrabحة لأجل للأمر بالشراء بدلاً من لجوء الشباب إلى الاقتراض بفائدة.
- بناء دور مناسبات لإقامة حفلات الزواج، وتأجيرها بأجور رمزية لتيسير الزواج بدلاً من اللجوء إلى الفنادق والنوادي ذات التكاليف المرتفعة.
- وتؤكد النماذج الواقعية السابقة المزايا التي تستطيع أن تقدمها المصارف الإسلامية للشباب المقدم على الزواج، وفي ذلك مساهمة في عملية حفظ العرض.
- ولكن برصد الواقع العملي نجد أن هذه الميزة ما زالت محدودة في بعض المصارف الإسلامية لأسباب عديدة منها:
- قيود التوازن بين العائد الاقتصادي والعائد الاجتماعي.
- صعوبة تقديم ضمانات من الشباب الفقير المقدم على الزواج للمصارف الإسلامية الممولة لاحتياجات تأثيث البيت.
- تعسر بعض الشباب بعد الزواج في سداد أقساط الأشياء المشتراة بنظام المrabحة.
- حرص بعض المصارف على تعظيم العائد الموزع على أصحاب الحسابات الاستثمارية والمساهمين.
- وهذه المعوقات وغيرها يمكن تذليلها من خلال وضع إستراتيجيات استثمارية يؤخذ فيها بالبعد الاجتماعي.
- إنجازات المصارف الإسلامية في علاج مشكلة السكن.
- ولقد ساهمت بعض المصارف الإسلامية مع الدولة في علاج مشكلة إيواء الفقراء ومن النماذج العملية (على سبيل المثال وما أمكن رصده) ما يلي:
- بناء مساكن للطلبة الفقراء ولاسيما الوافدين، مثل مدينة البعوث الإسلامية - الأزهر، حيث قام بنك فيصل ببناء عدة مساكن للطلبة المبعوثين.

- بناء مساكن شعبية لمحدودي الدخل، مثل مدينة بدر في دبي التي بناها بنك دبي الإسلامي للوافدين الفقراء وتأجيرها لهم بإيجار مناسب.
 - قيام بعض المصارف الإسلامية بتمويل بناء المساكن الشعبية بنظام المشاركة والاستصناع مع شركات المقاولات والاستثمار العقاري، وت مارس هذا النشاط معظم المصارف الإسلامية.
 - والميزة التي تقدمها المصارف الإسلامية في هذا الصدد هو اهتمامها بالمساكن لمحدودي الدخل بالرغم من ارتفاع المخاطرة في هذا النشاط لأن في ذلك بعداً اجتماعياً.
- (10-13) - الخلاصة.

لقد تركزت الدراسة في هذا الفصل على رصد وتقويم المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية للدول التي أخذت بها بصفة خاصة وللعالم بصفة عامة، وذلك في ضوء الواقع الفعلي لبيان إلى أي مدى قد تم تحويل المفاهيم والآمال المنشودة والمستهدفة إلى واقع فعلي، ولقد خلصنا إلى بعض الثوابت التي يمكن أن تكون منطلقاً للتطوير والترشيد إلى الأحسن، منها على سبيل المثال ما يلي:

- لقد تمكن فقهاء المصرفية الإسلامية من دراسة وتحليل الواقع المعاصر للمصرفية العالمية، وأصدروا الفتاوى الشرعية بين الجائز والمنهي عنه شرعاً، وتقديم الصيغ والمنتجات المصرفية الجديدة التي تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وهذه ميزة كبرى للتأكيد على صلاحية تلك الشريعة للتطبيق في كل زمان ومكان وعالميتها، ومن الموجبات الشرعية استمرارية الاجتهاد لمواكبة التغيرات المعاصرة في إطار من الثوابت الكلية.
- هناك انتشار ملحوظ في المعرفة والوعي المصرفي الإسلامي على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، ولقد نادى العديد من علماء المصارف والأسواق المالية بتطبيق عقود الاستثمار والتمويل الإسلامي.

- لقد ابتكرت المصارف الإسلامية منتجات مصرفية غير تقليدية لتتواءم مع مقتضيات العصر وتنافس بها البنوك التقليدية؛ من أبرزها: المضاربة والمشاركة والمرابحة والسلم والاستصناع والإجارة والصكوك الاستثمارية والمزارعة والمغارسة والمساقاة وتمويل رأس المال العامل.
- لقد تميزت المصارف الإسلامية في مجال المسؤولية الاجتماعية ورعاية البيئة ومحاربة الفساد من خلال ضوابط شرعية ونظم وبرامج وأدوات عملية، وذلك من خلال نظم الزكاة والقروض الحسن والوقف الخيري والصدقة الجارية وما في حكم ذلك.

• هناك نهضة في انتشار المصارف الإسلامية على المستويين الإقليمي والعالمي، وينمو عددها عامًا بعد عام بمعدلات متضاعفة، واكتسبت وضعًا ماليًا ومصرفيًا مرموقًا، وأثبتت قدرتها على الصمود في ظل الأزمات المالية. وحتى هذا التاريخ من إعداد هذا الكتاب وصل عدد المصارف الإسلامية إلى ما يزيد عن 400 عام 2009م.

وتعتبر هذه الثوابت وغيرها من المزايا التي قدمتها المصارف الإسلامية للأمة الإسلامية، ولكن مازالت هناك آفاق للتطوير إلى الأحسن، وهذا يتطلب وجود إستراتيجيات لكافة أنشطتها ومجالاتها.

* * *